﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ٣٠ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞا مُّبِينٌ ٣٣﴾ [الدُّخان: 30 - 33]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

لمّا ذكر تعالى إهلاكَ فرعونَ وقومِه؛ ذكر إحسانَه لبني إسرائيل، حيث إنَّ رفع الضَّرر مقدَّمٌ على إيصال النَّفع، ولمّا كان يَبلو بالمِحنة؛ أخبر أنَّه يبتلي بالنِّعمة؛ ليمتازَ الصِّدّيق مِن الزِّنديق[1].

لمّا ابتلاهُم سبحانه بالمحنة ابتلاهُم بالنِّعمة؛ ليَمتازَ الصِّدِّيق مِنَ الزِّنديق

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَالِيًا﴾: أصلُ (علو) يدلُّ على ارتفاعِ الشَّيء فوق شيءٍ تحتَه، وسُموٍّ عليه[2]، فالعلوُّ: ضدُّ السُّفل، وهو الارتفاع، وقد علا يعلو عُلوًّا، فهو عالٍ، وعَلِيَ يَعلَى علاءً، فهو عَلِيٌّ، فَـ(عَلا) بالفتح في الأمكنة والأجسام أكثرُ، و(عَلِيَ) بالكسر في الشَّرف[3].

و"العُلوُّ لله ﷻ عن كلِّ شيء، فهو أعلى وأعظَمُ ممّا يُثنَى عليه"، و"العُلوُّ: العظمةُ والتَّجبُّر"[4]، والعَلِيُّ: هو الرَّفيعُ القَدر، والشَّريف مِن (عَلِيَ)، وإذا وُصِف الله تعالى به في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحجّ: 62]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النِّساء: 34]؛ فمعناه: يعلو أن يحيطَ به وصفُ الواصفين، بل عِلمُ العارفين، فهو العالي الذي ليسَ فوقَه شيءٌ، وعلى ذلك يقال: تَعالَى[5].

---

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 661، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 404، وابن عادل، اللباب: 17/ 324 - 325، والمراغي، تفسير القرآن: 25/ 129.

(2) ابن فارس، المقاييس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (علو).

(3) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (علو).

(4) الخليل، العين: (علو).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (علو).

ومنه العُلوُّ بمعنى التَّكبُّر في الأرض، يقال: علا في الأرض علوًّا: تكبَّرَ وطَغَى، وعلوتُ الرَّجُل: غلبتُه، وعلوتُه بالسَّيف: ضربتُه، وعلا بالأمر: اضطلعَ به واستقلَّ[1]، وقولُه تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: جبّارًا مِنَ المشركين[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

النَّجاةُ مِنَ العذاب نعمة، والاصطفاءُ مِنَ اللهِ مِنحة، والإعطاءُ منه رحمة

يمتنُّ الحقُّ ﷻ في هذه الآيات على بني إسرائيل؛ إذ أنقذَهم مِنَ العذاب المذلِّ لهم بقتل أبنائِهم واستخدامِ نسائِهم وبناتهم في الأعمال الشّاقَّة بأمرٍ مِنَ الطّاغية فرعونَ؛ لأنَّه كان جبّارًا مستعليًا مستكبرًا على ربِّه، كما كان مِنَ المتجاوزين حدَّهم في العلوِّ والإسراف، ويبيِّنُ سبحانه أيضًا جانبًا مِن جوانب إكرامِه لبني إسرائيل؛ وذلك باصطفائِه لهُم، لعلمِه سبحانه بهِم وباستحقاقِهم لذلك الفضلِ على عالَمِي زمانهم آنذاك، ثمَّ إعطائِهم مِنَ المعجزات الدّالَّةِ على صِدق نبيِّه موسى ﷺ وغيره مِنَ الأنبياء ما فيه اختبارٌ ظاهرٌ وامتحانٌ واضحٌ لمَن تأمَّلهُ واهتدى إليه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾:

دورانُ الواو بين العطف والاستئناف؛ تبيانًا لسنَّة الله تعالى في الاستخلاف

يصحُّ أن تكون الواو عاطفةً، حيث عطفتْ قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على الكلام المحذوفِ الذي دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ الذي تقديرُه: فأغرقناهم، ونجَّينا بني إسرائيل، والمقصودُ مِن ذِكر هذا: الإشارةُ إلى أنَّ اللّه تعالى ينجِّي الذين آمنوا بمحمَّد ﷺ مِن عذابِ أهلِ الشِّرك بمكَّة، كما نجَّى الذين اتَّبعوا موسى ﷺ مِن عذابِ فرعون[4].

(1) الجوهري، الصحاح: (علو).
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 142.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 45 - 47، ومجمع الملك فهد، التفسير الميسر، ص: 497.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 304.

ويصحُّ أن تكون (الواو) استئنافيَّةً[1]، وعليه يكون قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ كلامًا مستأنَفًا مَسوقًا لتسلية النَّبيِّ ﷺ عمّا كان يُكابدُه مِن قريش، وإثلاجِ صدرِه ﷺ بأنَّ الله تعالى قادرٌ على إنقاذِه وإنقاذِ أتباعه مِن أذاهُم كما نجَّى بني إسرائيل مِنَ القِبط، وهو أمرٌ كان بحسب الظّاهر أمرًا بعيدَ الوقوع[2].

نكتةُ تصدير الآية بالقسَم:

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ جوابٌ للقَسَم المحذوفِ و(قَدْ) حرفُ تحقيق[3]؛ أي: واللهِ لقد نجَّيْنا - بفضلنا ورحمتنا - بني إسرائيلَ مِنَ العذاب المهين، الذي كان يُنزله بهم أعداؤهم؛ مِنَ الإذلال والإهانة؛ كقتلِهم للذُّكور، واستبقائِهم للإناث، وإرهاقِهم في الأعمال الشّاقَّة[4].

تأكيدُ تمامِ الإهلاك؛ إظهارًا لنعمته على المؤمنين، وتهديدًا ووعيدًا للكافرين

وقد صُدِّرت الآية بالقسَم وحرفِ التَّحقيق؛ لتأكيدِ تمامِ الإهلاكِ للظّالمين الذي يحمل معه تمامَ الإنجاءِ للمظلومين[5].

سرُّ إيثارِ التَّعبير بـ﴿نَجَّيْنَا﴾، ودلالة مجيئه ماضيًا مسندًا لنون العظَمة:

تتَّفقُ صيغةُ (فَعَّلَ)، و(أفْعَلَ) في أنَّ كلتيهما تأتي بمعانٍ، منها: التَّعديةُ، غير أنَّه يُلمَحُ أنَّ التَّعدية في (فَعَّل) تتطلَّبُ زمنًا غالبًا، بخلاف التَّعدية في (أفْعَلَ)، ومثالُ ذلك: الفرقُ بين (علَّمتُه)، و(أعلمتُه)، فالأولى تتطلَّب زمنًا حتى يحصلَ التَّعليمُ، أمّا الثّانية فلا تكاد تستغرقُ إلّا زمنَ النُّطقِ بالمعلومة.

في التَّفعيل إلماحٌ إلى الزَّمن، وفي التَّعبير بالمضيِّ إفادةٌ للتَّحقيق، وفي النّون تعظيم

ومِن هنا أوثر التَّعبيرُ بـ﴿نَجَّيْنَا﴾ دون (أنجَيْنا) في قول الله تعالى:

(1) محمود صافي، الجدول: 13/ 128.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 130.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 130.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 129.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 304.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾؛ حيث إنَّ الفعل (نجَّى) يدلُّ على أنَّ النَّجاة مِن عذاب فرعونَ وقومِه استغرقت زمنًا[1].

وهذا هو الموافقُ لسياق الآيات، حيث بدأت رحلةُ النَّجاة بدايةً مِن دعوة موسى ﷺ إذ دعا ربَّه: ﴿أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾، فجاءت إجابةُ الله تعالى بالإنجاء، وتقديرُه ﷻ برفع البلاء، حيث أمرَ نبيَّه موسى ﷺ بالإسراء بالمؤمنين ليلًا جهةَ الشَّرق، وأن يشُقَّ البحرَ لمّا اتَّبعه فرعونُ بجنوده، وأن يعبُرَه ببني إسرائيل؛ وكلُّ هذا يتطلَّب زمنًا.

ثمَّ إنَّ الآياتِ ذكرت ما تركَهُ فرعونُ وقومُه: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾.

فكلُّ هذا يدلُّ على أنَّ النَّجاة استغرقت وقتًا، فقد كانت رحلةً مخوفةً، رحلةً خرجَ فيها بنو إسرائيل مِن مصر؛ فلذلك أوثِرَت صيغةُ (فَعَّل)، فعُبِّر بـ﴿نَجَّيْنَا﴾ دون (أنجينا) للدَّلالة على ذلك.

ثمَّ إنَّ استعمالَ هذه الصِّيغة يبيِّن مدى تحمُّلِ مؤمني بني إسرائيلَ وصبرِهم على بلائهم، ممّا جعلهم أهلًا للجزاء الذي جاء بيانُه في الآيات.

دلالةُ مجيء الفعل ﴿نَجَّيْنَا﴾ ماضيًا مسندًا إلى نون العظَمة:

وعدُ الله تعالى متحقِّقٌ لعباده المؤمنين

جاء الفعلُ ﴿نَجَّيْنَا﴾ ماضيًا لإفادة التَّحقُّق والوقوع، وأُسند إلى نون العظَمة مِن حيث إنَّ حدَث التَّنجيةِ كان عظيمًا، وقد تمَّ بآيةٍ عظيمةٍ هي شقُّ البحر، وإنجاءُ قوم وإغراقُ آخرين، وإظهارُ الحقِّ وإزهاقُ الباطل، فكلُّ هذا مِنَ العظمة بحيث لا يقدرُ عليه إلّا إلهٌ عظيمٌ، وهو الله ربُّ العالمين.

(1) الهلال، الثري الجامع: 10/ 432.

نكتةُ التَّعبير بالاسم الظّاهر ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾:

جيء بالاسمِ الظّاهر دون الضَّمير في قوله تعالى: ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ لئلّا يلتبسَ بالضَّمير الذي قبله، وهو ضميرُ الجمع في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾، فلو جاء بعدها: (ولقد نجَّيناهم) لربَّما توُهِّم أنَّ هؤلاء عينُ أولئك، فعُبِّر بالظّاهر لدرء اللَّبس.

عُـبِّر بـالاسـم الـظّـاهـر دفـعًـا لـلالـتـبـاس، وإلمـاحًـا لامتداح المـؤمـنـين مِـنَ النّاس

وفي ذِكر الاسمِ الظّاهر في سياق التَّنجيةِ إلماحٌ إلى الامتداح، وإشارةٌ إلى سنَّةِ ربِّ العالمين في إنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

دلالةُ ﴿مِنَ﴾ في الموضعين: ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرۡعَوۡنَۚ﴾:

هـلاكُ الطّاغية هـو بـدايـةُ الـتَّـنـجـيـة، والـتَّـرقّـي إلى الرُّتب العالية

الأصلُ في معنى (مِن) أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على ابتداء الغاية[1]، وقد أدَّت هذا المعنى هنا؛ فالمعنى: أنَّ بداية إنجاءِ بني إسرائيل كانت بهلاك الطّاغية؛ ثُمَّ بتخليصِهم مِن استعبادِه وقتلِه أبناءَهم، واستحيائِه نساءَهم.

فقولُه تعالى: ﴿مِن فِرۡعَوۡنَۚ﴾ جعل فرعونَ وكأنَّه مبتَدَأ التَّنجية، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ فرعونَ وعذابَه كان محيطًا بالقوم إحاطةَ السّور، وأنَّ بداية خروجِهم مِن هذا العذاب كان مِن بوّابة فرعونَ التي كُسِرت بهلاكه وهلاكِ مَنِ استخفَّهم فأطاعوه!

دلالةُ التَّعريفِ في ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾ ووصفه بـ﴿ٱلۡمُهِينِ﴾:

الـتَّـعـريـفُ للتَّذكير بجزيل الإنـعـام، والتَّـحـذيـرِ مِـن مغبَّة الانتقام

التَّعريفُ في قوله: ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾ للعهد؛ حيث ذكرَ سبحانه في الآيات التي سبقت هذه الآيةَ الكريمة أنَّ فرعونَ يستعبدُ بني إسرائيل، فالعذابُ المُهِين هو: ذبحُ الأبناء، واستخدامُ النِّساء، والتَّعبُ في العمل، والتَّسخيرُ في المِهَن؛ كالبنيان والحَفْر وغيره[2]؛ فلذلك وُصِف العذابُ بأنَّه مُهِينٌ؛ لأنَّه عذابٌ فيه إذلالٌ شديدٌ لهم[3].

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 224، والزمخشري، المفصل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 459، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 75.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 20/ 112، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 74، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 404.

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 142، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 124، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 304.

علَّةُ فصلِ قوله تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَۚ﴾ عن سابقه:

الفصلُ لبيان بشاعةِ الإجرام، واستحقاقِ ما وقع مِنَ الانتقام

فُصِل قولُه تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَۚ﴾ عن سابقه لِما بينهما مِن كمال الاتِّصال؛ حيث إنَّ الأظهَر أن يكونَ قولُه تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَۚ﴾ بدلًا مطابقًا لقوله: ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾[1]؛ فكأنَّ فرعونَ في نفسِه كان عذابًا مُهينًا لإفراطِه في تعذيبِهم وإهانتِهم[2].

نكتةُ تكرار ﴿مِن﴾ في ﴿مِن فِرْعَوْنَۚ﴾:

كُرِّرت (مِن) لإفادة التَّأكيد، بيانًا لِما كانوا يُسامون مِنَ العذاب الشَّديد

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن فِرْعَوْنَۚ﴾ هنا مُعدِّية لـ﴿نَجَّيْنَا﴾؛ لأنَّ الحرفَ الدّاخل على المبدَل مِنه يجوز أن يدخل على البَدَل للتَّأكيد، ويَحسُن ذلك في نُكتٍ يقتضيها المقامُ ومنه ما ورد في هذا السِّياق، فأُظْهِرت ﴿مِن﴾ لخفاء كونِ اسم فرعونَ بدلًا مِنَ العذاب؛ تنبيهًا على قصد التَّهويل لأمر فرعونَ في جعلِ اسمِه نفسَ العذابِ المُهِينِ؛ أي: في حالِ كونِه صادرًا مِن فرعونَ[3].

نكتةُ التَّعبير بالاسم العلَم: ﴿فِرْعَوْنَۚ﴾:

التَّعبيرُ بالعَلَميَّة للتَّقبيح، وجعلِه مثلًا لفرعون الأُمَّة المحمَّديَّة

عُبِّر بالاسم العلَم ﴿فِرْعَوْنَۚ﴾ استحضارًا له في الذِّهن، ولِجعْلِ اسمِ فرعونَ نفسِه هو العذابَ المهينَ مبالغةً، وتهويلًا لأمره، وبيانًا لعُتوِّه وشَيطنته[4]، وأيضًا لجعلِ طغيانِ فرعونَ وإسرافِه في الشَّرِّ مثلًا لطُغيان أبي جهل - فرعونَ أمَّةِ الإسلام - وملئِه.

علَّةُ فصلِ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾:

الفصلُ للاستئناف، بيانًا لِما للخبيث مِن قبيح الأوصاف

فُصِل قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه استئنافٌ بيانيٌّ ناشئٌ عن سؤالٍ مقدَّر، وهو: لماذا كان فرعونُ عذابًا مهينًا؟ وهذا الاستئنافُ لبيان التَّهويل الذي أفادَهُ جَعْلُ اسمِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 304.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 278، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 661.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 305.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 404، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 305.

فرعونَ بدلًا مِنَ العذاب المهين، والعالي: المتكبِّر العظيم في النّاس، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 4][1].

نكتةُ توكيدِ جملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ بـ(إنَّ):

جاء التَّوكيدُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ بـ(إنَّ)؛ حيث إنَّه لمّا قيل إنَّ فرعونَ نفسَه عذابٌ مُهينٌ، وكأنَّه خرجَ مِن جنس النّاس إلى جنسٍ آخر - وهذا غريبٌ - ؛ احتاجَ السّامعُ إلى ما يؤكِّد له غرابةَ أن يكون إنسانٌ ما عذابًا مهينًا، وليس لحمًا ولا دمًا فجاءت هذه الجملة تبيِّنُ كيف يتحوَّلُ الإنسانُ ويصيرُ عذابًا مُهينًا[2]!

تأكيدُ أنَّه مِن شدَّة الاستعلاء صار هو في نفسِه الجحيمَ والعَناء

نكتةُ التَّعبيرِ بالكون الماضي ﴿كَانَ عَالِيًا﴾:

جاء التَّعبيرُ بالكون الماضي في قوله تعالى: ﴿كَانَ عَالِيًا﴾؛ ليدلَّ على أنَّ خبرَها صار جزءًا مِن ماهيَّتها، وأنَّ هذا الخبر ليس كالأخبار التي يُخبَرُ بها عنِ النّاس[3]، ممّا يفيدُ أنَّ الاستعلاء قد تمكَّن مِن هذا الطّاغية العاتي المتجبِّر منذ زمانٍ مضَى، فخالَطَ قلبَه ومازَجَ روحَه ونفسَه، فصار عريقًا في جِبلَّته[4].

عُبِّر بالكون الماضي لإفادة الرُّسوخِ في الطُّغيان، والعراقةِ في الكفران

دلالةُ تنكير ﴿عَالِيًا﴾:

قولُه تعالى: ﴿عَالِيًا﴾ ليس المرادُ به علوَّ المدحِ بل هو علوٌّ في الإسراف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 4]، ومن هذا العلوِّ: التَّرفُّعُ عن عبادة الله سبحانه[5]؛ فلذلك جاء التَّنكيرُ في كلمة ﴿عَالِيًا﴾ للدَّلالة على شدَّة طغيانِه واستكباره، حيث إنَّ فرعونَ كان كبيرًا في قومه، رفيعَ الطَّبقة، بليغًا في إسرافه[6]؛ ومِن إسرافِه أنَّه - على حقارتِه وخِسَّته - ادَّعَى الإلهيَّة[7]! فما أحقَرَهُ وما أذلَّهُ!

التَّنكيرُ للتَّحقير لبيان مَنِ ارتكبَ الوزرَ والجُرمَ الكبير

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 305.
(2) محمد أبو موسى، آل حم: (الشورى، الزخرف، الدخان)، دراسة في أسرار البيان، ص: 629 - 630.
(3) محمد أبو موسى، آل حم: (الشورى، الزخرف، الدخان)، دراسة في أسرار البيان، ص: 629 - 630.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 32.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 142.
(6) الزمخشري، الكشّاف: 4/ 278.
(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 661.

معنى ﴿مِّنَ﴾ ودلالتُها في ﴿مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾:

لم يكنِ الهالكَ وحـدَهُ في الإسراف، لكنَّه كان عاليًا في هذا الاتِّصاف

الأصلُ في معنى ﴿مِّنَ﴾ أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على ابتداء الغاية[1]، وقد أفادت هاهنا معنى التَّبعيض، وهو راجعٌ إلى الابتداء أيضًا؛ و﴿مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أشدُّ مبالغةً في اتِّصافه بالإسراف من أن يقال: مسرفًا[2]، فهو قدِ اشتهر بشدَّةِ علوِّهِ وتكبُّرِهِ حتى أصبحَ معدودًا في تلكم الزُّمرةِ المذمومةِ منَ المسرفين المتكبِّرين[3]، وفي هذا بيانٌ لشدَّة بطشِهِ وطُغيانِه لعَنَهُ اللّه، فإذا لم يكُن وحدَه المسرِفَ، فإنَّه كان عاليَ الدَّرجةِ في طبقةِ المسرفين، بل إنَّه مِن شدَّة إسرافِه ادَّعَى الإلهيَّةَ على حقارَتِه وخِسَّته!

معنى التَّعريفِ في ﴿ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾:

التَّعريفُ للجنس بيانًا لِما كان عليه الهالِكُ مِنَ العتوِّ والعناد، والغلبةِ على العباد

جاء التَّعريفُ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ للجِنس؛ أي أنَّ فرعونَ كان واحدًا ممَّن عُرفوا بالإسراف وشُهروا به، لكنَّه زادَ عليهم أنَّه كان عاليًا، وكان التَّعالي جزءًا مِن ذات نفسه، وقد جاء التَّعبيرُ بالجنس لبيان أنَّه كان مبالغًا في العتوِّ والعناد، والغلبةِ على العباد أقصى الغاية[4].

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾:

الواو عاطفةٌ للتَّشريك بين الجملتين، إظهارًا لإفاضة النِّعم والتَّكريم

الواو عاطفةٌ حيث عطفت جملةَ: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ على ما قبْلها؛ للتَّشريك بين الجملتَين؛ فبناءُ الجملتين بناءٌ واحدٌ[5].

ويُلاحَظ أنَّ الجملة الثّانية مِن تمام معنى الجملةِ الأولى؛ فالأولى نجاةٌ مِن عذاب، والثّانيةُ مَنٌّ وعطاءٌ؛ وكأنَّه عِوضٌ عنِ الذي كان؛

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 224، والزمخشري، المفصل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 459، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 75.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 305.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 331، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 7/ 263.
(4) محمد أبو موسى، آل حم: (الشورى، الزخرف، الدخان)، دراسة في أسرار البيان، ص: 630.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 130، ومحمود صافي، الجدول: 13/ 129.

ففي الأولى إزاحةٌ للعذاب والهمِّ والغمِّ، وفي الثّانية إفاضةٌ للنِّعم والتَّكريم والتَّقدير، وأنَّ الله سبحانه قابَلَ علوَّ فرعونَ عليهم بأنَّه سبحانه اختارَهُم على العالمين[1].

نكتةُ تَكرار القسَم الذي أنبأت عنه لام في ﴿وَلَقَدِ﴾:

التَّكرارُ لتأكيد الاعتدادِ بالمِنَن الجليلة، والإيماءِ إلى الأُمَّة الفضيلة

جاء تَكرارُ القسَم في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾؛ للاعتداد بهذه المنن الجليلةِ التي منَّ بها سبحانه على بني إسرائيل[2].

وفي هذا التَّأكيد "إشارةٌ إلى أنَّ الله تعالى قدِ اختار الذين آمنوا بمحمَّد ﷺ على أُمَم عصرِهم كما اختارَ الذين آمنوا بموسى عليه السلام على أُمَم عصرِهم، وأنَّه عالمٌ بأنَّ أمثالهم أهلٌ لأنْ يختارَهم الله، والمقصود: التَّنويهُ بالمؤمنين بالرُّسل وأنَّ ذلك يقتضي أن ينصرَهُم الله تعالى على أعدائهم"[3].

سرُّ إيثارِ التَّعبير بـ﴿ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾، ومجيئه ماضيًا مسندًا إلى نون العظَمة:

اختارهم سبحانه ولم يكن لهم نظراءُ؛ فكانوا الأحقَّ بالرِّفعة والثَّناء

أوثِرَ التَّعبيرُ بـ﴿ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾ دون (اصطفَيناهُم) لأنَّ مادَّة الاختيار تدورُ حولَ معاني المَيل إلى ما فيه خير، سواء كان خيرًا في نفسه، أو خيرًا عند مَن اختاره[4]، أمّا الاصطفاءُ فتدورُ مادَّتهُ حولَ معاني الخُلوصِ مِنَ الشَّوب والكَدَر[5].

والاختيارُ هو أن تختارَ مِن غيرِ متشابهاتٍ؛ كأنْ أختارَ قلَمًا مِن بين ورقةٍ وكتابٍ وقَلَم، أمّا الاصطفاءُ فهو أن أختارَ مِن بين أشياءَ متناظِرَةٍ متشابِهَةٍ، اصطفاءً مِن متناظرين[6]؛ ولذا جاء التَّعبيرُ بالاختيار هنا؛ فالمعنى أنَّه سبحانه اختارَ بني إسرائيل على عالَمِي

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 631.
(2) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 631.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 305.
(4) ابن فارس، المقاييس، والراغب المفردات: (خير)، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 29.
(5) ابن فارس، المقاييس، والراغب المفردات: (صفو).
(6) الهلال، الثريّ الجامع: 57/ 9.

زمانِهم بأنْ جعلَ فيهم الكتابَ والحِكْمةَ والنُّبوَّةَ والمُلْكَ؛ اختارَهُم سبحانه لِعلمِهِ بصُلوحِهِم لذلك، وقيامِهم بشُكره[1].

وجيء بالفعل في صورةِ الماضي مسندًا إلى نون العظَمة؛ لإفادة تحقُّق الوقوع، مع بيانِ أنَّ هذا الاختيارَ كان بعِلمِ الله تعالى الواسعِ؛ ففيه الحكمةُ البالغة، والمنَّةُ العظيمة.

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالتُها في الموضعين ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

تعالت حكمةُ الله؛ فما في اختيارِهِ مِن محاباة

الأصلُ في معنى ﴿عَلَىٰ﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على الاستعلاءِ حقيقيًّا كان أم مجازيًّا، ولفظُها يدلُّ على ذلك، فهي من العُلوِّ[2].

وهي في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بهذا المعنى، ففي الموضع الأوَّل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ تفيد تمام التَّمكُّن مِن هذا العِلم[3]؛ لتقطعَ السَّبيلَ على مَن يظنُّ أنَّه اختيارُ محاباةٍ أو مجاملةٍ، فاللهُ تعالى هو العليمُ الحكيم، يقضي بالحقِّ، ويحكمُ بالعدل؛ فاختيارُهُ سبحانه كان "اختيارًا مُستعليًا ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾"[4].

ومعنى الاستعلاء أيضًا بارزٌ في الموضع الثّاني ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5]؛ ففيه بيانُ أثرِ هذا الاختيار الإلهيِّ الحكيم، الذي رفع القومَ المختارينَ فوقَ بقيَّة العالمين في زمانهم، وفيه كذلك رفعةٌ لقيمةِ التَّوحيد؛ التي رفعَتْ أقوامًا لمّا التزَموا بها، ووضعَتْ آخرينَ أعرَضوا عنها!

دلالةُ تنكير ﴿عِلْمٍ﴾:

التَّنكيرُ للتَّعظيم، بيانًا لعلم الله العظيم، وفضلِه الجسيم

الأظهرُ أنَّ التَّنكير في قوله: ﴿عِلْمٍ﴾ يفيدُ معنى التَّعظيم؛ فإنَّ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ فيه معنًى متَّسِعٌ وجليل: لأنَّه صالحٌ لأنْ

(1) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 13/ 329.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزمخشري، المفصل، ص: 384، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 497، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 47.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 390.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 33.
(5) الصاوي، حاشية على الجلالين: 4/ 64.

يُفيد: على علمٍ منّا بما كان منهم مِن تجلِّياتِ توَهُّجِ الإيمان، وبما سيكونُ منهم مِن فظائعِ الكفر والفسوقِ والعصيان[1]، فالمعنى: لقدِ اخترناهُم عالِمين بمكانِ الخيرة، وبأنَّهم أحِقّاءُ بأن يُختاروا، مع علمٍ منّا بأنَّهم سوف يَزيغونَ ويفرطُ منهم الفُرُطات في بعض الأحوال[2]، فهذا العِلمُ المُحيطُ بما قد كان وبما هو كائنٌ لا جَرَمَ أنَّه عِلمٌ عظيم، بل هو الغايةُ في العظمة!

ويجوزُ أن يكون المعنى: اخترناهُم لأجل علمٍ فيهم أُعطَوْه ففُضِّلوا به على غيرهم، والتَّنكيرُ فيه أيضًا للتَّعظيم، ويَحسُن اعتبارُه علَّةً للاختيار على العالَمين[3].

دلالةُ تقديم شبه الجملة ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾:

قُدِّم شبهُ الجملة ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ على قوله ﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ للاهتمام بالمقدَّم؛ إذ هو حَريٌّ في هذا السِّياق بالتَّقديم؛ "ففي قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ ردٌّ على مَن لا يعرفُ قدْرَ الله ﷻ، ولا يعنو لجلاله وعظمتِه، فيسوء ظنُّه بالله، حين يرى آثامَ بني إسرائيل، وشناعاتِهم، ومفاسدَهم في الأرض، ثمَّ يرى كثرةَ الرُّسل الذين بعثَهُم الله فيهم، وكثرةَ الآيات التي جاؤوهم بها، ممّا لم يكن لأُمَّةٍ مِنَ الأمم، أو شَعبٍ مِنَ الشُّعوب، فكان قولُه تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ ردًّا على مَن يظنُّ هذا الظَّنَّ في الله تعالى، ويرى - عن جهلٍ - أنَّ اختيارَ الله سبحانه لهؤلاء القوم، واختصاصَهُم بالرُّسل والشَّرائع والمعجزات، لم يكن واقعًا موقعَه الصَّحيح، إذ لم يُثمر إلّا هذا الثَّمَرَ النَّكِدَ الخبيثَ!! وكلّا، ثمَّ كلّا، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا"[4].

قُيِّد الاختيارُ بالعِلم دفعًا لوَهْم مرضى القلوب

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان: 631 - 632.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 278.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 124.
(4) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 203.

نكتةُ عطفِ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾:

أوثِـرَ العطفُ لبيان أنَّ الإيتاء أثـرٌ مِـن آثـار الاجتباء

"الواو تعطفُ (آتَيْناهُمْ) على ﴿ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾ وتُدخِلُ ما بعدَها في حيِّز التَّوكيد باللّام و(قد)، ووراء هذا التَّوكيدِ ما وراءه"[1]، وممّا حسَّن عطفَ هذه الجملةِ الكريمة على سابقتها ارتباطُها بها؛ حيثُ إنَّ إيتاء الآيات أثرٌ مِن آثار الاختيار[2]؛ لأنَّه مِن عناية الله تعالى بأُمَّة بني إسرائيل؛ فهو يزيدهم يقينًا بإيمانهم، والمرادُ بالآيات: المعجزاتُ التي ظَهرت على يد موسى عليه السلام، أيَّد الله بها بني إسرائيل في مواقعِ حروبِهم؛ بنصرِ الفئةِ القليلةِ منهم على الجيوشِ الكثيرة مِن عدوِّهم[3].

والملاحَظ أنَّ ترتيبَ المِنَن جاء تصاعُديًّا؛ ففي إنجائهم مِن عدوِّهم فضلٌ، وفي اختيارهم على العالمين فضلٌ آخر، وفي إيتائهم الآياتِ التي فيها بلاءٌ مبين فضلٌ أعلى لمَن صدق[4].

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي مسندًا إلى نون العظَمة في ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم﴾:

الفعلُ المنسوبُ إلى العظيم لا جَـرَمَ أنَّـه جليلٌ وعظيم

أوثِرَ التَّعبيرُ بالماضي مسندًا إلى نون العظَمة في قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم﴾؛ لإفادة تحقُّق الوقوعِ، وأُسنِد إلى نون العظمة؛ لبيانِ أنَّ إيتاء الآياتِ التي فيها البلاءُ المبين هو - بحقٍّ - أمرٌ جليلٌ وجسيمٌ وعظيمٌ، فالمعنى: لقد آتينا بني إسرائيلَ على ما لنا مِنَ العَظَمَة مِنَ العلامات الدّالَّة على عَظَمَتنا واختيارِنا لهم ما فيه اختبارٌ مبينٌ[5].

معنى ﴿مِّنَ﴾ ودلالتُها في ﴿مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾:

(مِـن) تبعيضيَّة لبيان مزيدٍ مِنَ المنن العليَّة

﴿مِّنَ﴾ حرفٌ موضوعٌ في الأصل للدَّلالة على معنى: ابتداء الغاية[6]، ودلالتُها على التَّبعيض في بعض السِّياقات - كما هي هاهنا

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 633.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 33.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 25/ 305.
(4) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 633.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 33.
(6) سيبويه، الكتاب: 4/ 224، والزمخشري، المفصل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 459، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 75.

- راجعةٌ أيضًا إلى معنى الابتداء؛ ذلك أنَّ قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ يُفيد أنَّ الله ﷻ أيَّدهُم ببعض المعجزات؛ كفَلَقِ البحر، وتظليلِ الغمام، وإنزالِ المنِّ والسلوى، وغيرها مِن عظائم الآيات التي لم يُعهَد مثلُها في غيرهم - ما فيه اختبارٌ وامتحانٌ ظاهرٌ؛ ليتميَّز الخبيثُ مِن الطَّيِّب، والكافرُ مِن المؤمن[1].

معنى التَّعريفِ في ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ ودلالةُ مجيئها جمعًا:

التَّعريفُ للعهد؛ لبيان مزيد الإنعام والعطايا العِظام

جاء التَّعريفُ في قوله: ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ للعهد؛ حيث إنَّ ما أيَّدهم به ﷺ مِنَ الآيات والمعجزات قد ذُكِر في غيرِ ما آيةٍ مِن كتاب الله تعالى؛ كالذي ذُكِر في سورة البقرة من أوَّل قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: 49 - 53].

وأدخَلُها في الإكرام قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: 57]، وهو يُقابل الطّوفانَ والجرادَ والقمَّلَ والضَّفادع والدَّم لفرعون وقومه، ثمَّ إنَّه سبحانه قد جعل فيهم أنبياء، وجعلهم ملوكًا[2].

وعليه فإنَّ التَّعريف في ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ هو للعهد ذهنيًّا كان أم ذِكريًّا، وقد وردت بصيغة الجمع لبيان كثرتها وعظمتِها.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السَّليم: 8/ 63، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 130.
(2) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 633.

معنى ﴿مَا﴾ ودلالتُها في ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤُاْ مُّبِينٌ﴾:

﴿مَا﴾ في قوله ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤُاْ مُّبِينٌ﴾ تحتملُ وجهين: فإمّا أن تكون موصولةً بمعنى (الذي)، وإمّا أن تكون نكرةً موصوفةً بمعنى (شيء)، وفي الحالتين هي مفعولٌ به، والجملة بعدها صلةُ الموصول في الحالة الأولى، وصِفةٌ في الحالة الثّانية[1].

دوران (ما) بين الموصوليَّة والنَّكرةِ الموصوفة؛ لإفادة التَّعظيم

وعلى كلا التَّوجيهين فالتَّعبيرُ بـ﴿مَا﴾ قد أفاد التَّعظيم؛ لأنَّها - على القول بالموصوليَّة - جاءت صِلَتُها مُشعرةً بهذا المعنى مِن حيث تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿فِيهِ﴾، وتنكيرُ ﴿بَلَٰٓؤُاْ﴾، ووصفُه بـ﴿مُّبِينٌ﴾، وعلى القول بأنَّها نكرةٌ موصوفةٌ جاء وصفُها دالًّا على أنَّه شيءٌ عظيمٌ.

معنى (في) ودلالتُها في قوله: ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤُاْ مُّبِينٌ﴾:

كانتِ البراهينُ والآياتُ كالوعاء يحوي النِّعمَ والاختبارات

الأصلُ في معنى (في) أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّةً كانت أو زمانيَّةً، حقيقيَّةً أو مجازيَّةً[2]، والظَّرفيَّةُ في قوله تعالى: ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤُاْ مُّبِينٌ﴾ أفادت أنَّ الآياتِ صارت كالوعاءِ تحوي في داخلها النِّعَمُ والاختباراتُ التي بها يتبيَّن إخلاصُهم ورسوخُهم على الإيمان ويتميَّز بها الخبيثُ مِنَ الطَّيِّب.

نكتةُ تقديمِ شبه الجملة ﴿فِيهِ﴾ على المسند إليه ﴿بَلَٰٓؤُاْ﴾:

التَّقديمُ للاهتمام؛ لصرف الأذهان إلى تدبُّر مواطن الإنعام في النِّعَم العِظام

قُدِّمت شبهُ الجملة ﴿فِيهِ﴾ على المسندِ إليه ﴿بَلَٰٓؤُاْ﴾ للاهتمام بالمقدَّم، والتَّشويقِ للمؤخَّر؛ لتنصرف الأذهانُ والأبصار إلى تتبُّع مواطنِ البلاء - اختبارًا ونعمةً - في هذه الآيات.

نكتةُ تنكيرِ ﴿بَلَٰٓؤُاْ﴾ ودلالةُ وصفِه بـ﴿مُّبِينٌ﴾:

جاء التَّنكيرُ في قوله: ﴿بَلَٰٓؤُاْ﴾ لإفادة معنى التَّعظيم، فالمعنى:

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 129.

(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 226، والزمخشري، المفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 471، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 57.

"وأعطيناهم منَ العبر والعظاتِ ما فيه اختبارٌ يبيِّنُ لمَن تأمَّله أنَّه اختبارٌ اختبرَهم اللّه ﷻ به"[1].

التَّنكيرُ للتَّعظيم

وقد وُصِف البلاءُ بـ﴿مُّبِينٌ﴾ للدَّلالة على أنَّه كان جليًّا ظاهرًا لكلِّ متأمِّل، وما كان هذا وصفَهُ فحريٌّ أن يكون عبرةً وعظة؛ فمَنِ اعتبر فقد نجا، ومَن أعرض فهو الهالك!

و"على قدر الإحسان يكون الحسابُ، وقد خرج بنو إسرائيل مِن هذا الامتحان بأخسرِ صفقةٍ، إذ كشف ذلك منهم عن نفوسٍ خبيثة، وقلوبٍ مريضة، وطبائعَ شَرِسةٍ، فكان أنْ أخَذَهم اللّهُ بالبأساء والضَّرّاء، وأنزلَ بهم الضَّرباتِ القاصمةَ، فكانوا عبرةً وعِظةً لمَن يكفرُ بنِعَم اللّه، ويَستَنبِتُ مِن إحسانه وفضلِه أنيابًا ومخالبَ ينهَشُ بها عبادَ اللّه! فلقد لعنَهم اللّه وجعلَ منهم القرَدةَ والخنازيرَ وعَبَدَ الطّاغوت"[2].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الإهانةُ والإذلال:

نقيضُ الإهانةِ الإكرامُ، ونقيضُ الإذلالِ الإعزازُ

الفرقُ بينهما أنَّ إذلالَ الرَّجُل للرَّجُل أنْ يجعلَه مُنقادًا على الكُرْهِ أو في حُكم المُنقاد، والإهانةُ أنْ يجعله صغيرَ الأمر لا يُبالي به؛ يقال: استهانَ به؛ أي: لم يُبالِ به ولم يلتفت إليه.

والإذلالُ لا يكون إلّا مِنَ الأعلى للأدنى، والاستهانةُ تكون مِنَ النَّظير للنَّظير، ونقيضُ الإذلال: الإعزازُ، ونقيضُ الإهانة: الإكرامُ[3].

والمعنى المحوريُّ لجذر الإهانة: لِينُ الشَّيء أو نعومتُه ورخاوتُه وضعفُه؛ أي: عدمُ صلابته؛ ومِن ذلك: هانَ هوانًا: لم يُحفَل به، وهو كونُ الإنسانِ لا يُؤبَهُ به ولا يُلتفَتُ إليه، ومِن ذلك: الإهانةُ بالقول والمعاملة[4].

(1) مكيُّ بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية: 10/ 6742.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 202.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 251.
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (هون).

والمعنى المحوريُّ لجذر الإذلال: نقصُ ارتفاعِ الشَّيءِ، والتَّماسُكُ يتأتَّى منه الارتفاعُ، والرَّخاوةُ والتَّسيُّبُ يلزمُهما الانخفاضُ[1]؛ فدلَّ ما سبقَ على أنَّ الذُّلَّ يتبعُ الهوانَ، والإذلالَ يتبع الإهانةَ[2].

الاختيارُ والاجتباء:

الاختيارُ تناوُلُ خيرِ الشَّيء، والاجتباءُ تناوُلُ جبايتِه

الخاء والياء والرّاء أصلُه العطفُ والميل ثمَّ يُحمَل عليه؛ فالخير: خلافُ الشَّرِّ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يميلُ إليه ويعطِفُ على صاحبِه[3]، والمختار (بمعنى اسم الفاعل) في اختياره بين شيئين يميلُ إلى أحدهما[4]، وهذا الميلُ يرجعُ إلى أنَّه رأى هذا الشَّيء خيرًا مِنَ الآخَر؛ فإذا رأى في الشَّيئين خيرًا، مالَ إلى الأكثر خيرًا فيهما.

والجيم والباء والياء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على جمع الشَّيء والتَّجمُّع؛ يقال: جبيتُ المالَ أجبِيه جِباية؛ أي: جمعتُه[5]، وجِباية الخَراج: جمعُه وتحصيلُه[6]، والاجتباءُ: الجمعُ على طريق الاصطفاء؛ فهو مِن: جَبَيْتُ الماءَ في الحوض؛ أي: جمعتُه مختارًا له، واجتباءُ اللّه عبدَه هو تخصيصُه إيّاه بفيضٍ إلهيٍّ تتجمَّع له منه أنواعٌ مِنَ النِّعم بلا سعيٍ مِنَ العبد، وذلك للأنبياء وبعضِ مَن يقاربهُم مِنَ الصِّدِّيقين والشُّهداء[7].

فيُفَرَّقُ بين الاختيار والاجتباء بأنَّ اختيارك الشَّيءَ أخذُكَ خيرَ ما فيه في الحقيقة أو خيرَه عندك، والاختيار: طلبُ ما هو خيرٌ وفعلُه، وقد يُقال لِما يراهُ الإنسان خيرًا وإن لم يكن خيرًا[8]، وأمّا اجتباءُ الشَّيء فهو تناولُ جبايتِه، أي: جملتِه، أو تناولُ ما جمعتَه مختارًا له[9].

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ذلل).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 251.
(3) ابن فارس، المقاييس: (خير).
(4) أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص: 62.
(5) ابن فارس، المقاييس: (جبي).
(6) الأزهري، التهذيب: (جبي).
(7) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والفيروزآبادي، البصائر: (جبي).
(8) الراغب، المفردات: (خير).
(9) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والفيروزآبادي، البصائر: (صفو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"